(الأعمى) في القرآن الكريم دلالاته ومرادفاته

إعداد: د. نجبة غلام نبي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . **وبعد** :

فإن القرآن الكريم حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، لا تنقضي عجائبه على مر الدهور.

وقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بتفسيره واستنباط الأحكام والهدايات من مكنوناته.

واهتمام السلف والخلف بتفسير القرآن الكريم لم يقف عند حد معين ؛ بل تفنن العلماء في تفسيره واستخراج كنوزه، وإبراز ما خفي من معانيه، فظهرت أنواع من التفسير؛ كالتفسير التحليلي ، والتفسير الموضوعي لموضوع معين في القرآن الكريم ، والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية (الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية) .

كما ظهر التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني .

ونظراً لقلة البحوث المؤلفة في النوع الأخير ، أحببت المساهمة في هذا النوع من التفسير لعدة أسباب :

١) حتى يكون إضافة جديدة في مجال البحوث القرآنية، ونرجو من الله ذلك.

٢) توجيه المهتمين والمتخصصين في مجال القرآن الكريم والتفسير لدراسة هذا النوع من التفسير.

٣) فتح المجال لاستخراج دراسات ومؤلفات جديدة في المصطلحات القرآنية .

وقد اخترت مصطلح (الأعمى) في القرآن الكريم وأسميت البحث:

(الأعمى) في القرآن الكريم ، دلالاته ومرادفاته

ولم أجد من أفرد هذا المصطلح ببحث مستقل في التفسير.

خطة البحث: قد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

أما **المقدمة** فذكرت فيها هدف البحث وأسباب اختياره، وخطته .

أما المباحث فهي :

المبحث الأول : الأعمى والعمه في القرآن الكريم تعريفها ودلالاتها.

ويشمل أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الأعمى والعمه في اللغة .

المطلب الثاني : آيات أعمى البصر تفسيراً وهدايات .

المطلب الثالث : آيات أعمى البصيرة في الدنيا والآخرة تفسيراً وهدايات .

المطلب الرابع : الآيات التي ورد فيها مشتقات العمه تفسيراً وهدايات .

المبحث الثاني : الطمس والغشاوة للأعين في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف الطمس والغشاوة في اللغة .

المطلب الثاني : آيات طمس الأعين تفسيراً وهدايات .

المطلب الثالث : آيات غشاوة البصر والنعاس والموت تفسيراً وهدايات

المبحث الثالث : ما ورد في القرآن الكريم من المعجزات في شأن العمى.

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معجزة عيسى- عليه السلام- في إبراء الأكمه .

المطلب الثاني : إبصار يعقوب عليه السلام بعد إلقاء القميص عليه .

أما **الخاتمة** ففيها أهم النتائج والتوصيات .

ثم **فهرس المصادر والمراجع**

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول
الأعمى والعمه في القرآن الكريم
تعريفها ودلالاتها

المطلب الأول : العمى والعمه في اللغة .

عمى : العين والميم والحرف المعتل : أصل واحد يدل على ستر وتغطية ، من ذلك العمى ذهاب البصر من العينين كلتيهما ، والفعل منه: عَمِي يَعمى عمًى ، ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة [١] .

ويستعار العمى للقلب كناية عن الضلالة ، والعلاقة عدم الاهتداء فهو عمٍ ، وعَمَّاه تعميه ورجلٌ عمٍ إذا كان أعمى القلب ، والعمى : ذهاب نظر القلب [٢]. صيّره أعمى ، ومعنى الكلام: أخفاه [٣].

ومكان أعمى: لا يُهتدى فيه ، والمعامِي من الأرض : الأغفال التي ليس بها أثر عمارة وهي الأعماء أيضاً [٤].

عَمَه : العين والميم والهاء أصل صحيح واحد يدل على حيرة وقلة اهتداء [٥]. وعمى عليه الأمر: التبس واشتبه واختلط، عُمِي يَعْمى عماية: لجّ في الباطل وضلّ[٥].

وقيل: العَمَه: التردد في الضلالة والتحير في منازعةٍ أو طريق ، وقيل: هو أن لا يعرف الحجة[٦]. وعَمِهَ في طُغيانه : إذا تردد متحيراً [٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ١٣٣/٤ مادة عمى.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ٩٥/١٥-٩٦ ، مادة عمى .

(٣) بصائر ذوي التمييز ، للفيروز آبادي ، ١٠٢/٤ .

(٤) لسان العرب ، ٩٨/١٥ مادة عمى.

(٥) معجم مقاييس اللغة ، ١٣٣/٤ مادة عمى.

(٥) الرائد : جبران مسعود ، ص(٦٢٦) .

(٦) لسان العرب ، ٩٩/١٥. بصائر ذوي التمييز ، ١٠٢/٤ . وبنحوه في جامع مفردات القرآن ٦٣٩/٢ .

(٧) المصباح المنير ، للفيومي ، ص (٤٣١) مادة عمى.

ورجل عُمِهٌ وعامِهٌ . أي: يتردد متحيراً ، لا يهتدي لطريقه ومذهبه ، والجمع عَمِهون وعُمّهٌ ، وقد عُمِه : إذا حاد عن الحق ، والعَمَهُ في الرأي ، والعمى في البصر، ويكون العمى عمى القلب ، يقال : رجل عَمٍ إذا كان لا يبصر بقلبه ، يقال: فلان أعمى قلباً من فلان، ولا يقال ذلك في عمى البصر(١)، وأرض عمهاء : لا أعلام بها(٢).

وعَمِيّةٌ ، عُمِيّه : ضلالٌ وغواية وباطل ، وعَمَه تعْمهُ عَمَهاً : لم يعرف وجه الصواب ، تحير في طريق أو أمر(٣).

عَمَتْ: العين والميم والتاء ، أصيل صحيح يدل على التباس الشيء والتوائه ثم يشتق منه ما أشبهه .

والعِمّيت: الرجل الأعمى الجاهل بالأمور ، والتعمية : أن تعمّي على إنسان شيئاً فتلبسه عليه لبساً ، يقال عمى عن الخبر وعمى عليه الخبر(٤)، ومن الباب العُمّية : الضلالة(٥).

ومعنى أصل واحد: أنها تستعمل استعمالاً أساسياً في معنى واحد .

فخلاصة المعاني السابقة لكلمة (عَمَى ، عَمَهْ ، عَمون ، يَعْمهون) تدور حول: الستر والتغطية ، إما للبصر وإما للبصيرة .

أما فاقد البصر فهو لا يهتدي إلى الطريق الذي يسلكه لمراده وقضاء أموره .

---

(١) الغريبين في القرآن والحديث ، تصنيف العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي ، ١٣٣٠/٤ .

(٢) لسان العرب ، ٥١٩/١٣ ، مادة (عمه) .

(٣) الرائد ، ص (٦٢٥ – ٦٢٦) .

(٤) الغريبين في القرآن والحديث ، ١٣٣٠/٤ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ، ١٣٤/٤-١٣٦ مادة عمى.

وأما فاقد البصيرة فهو في حيرة وتردد وغواية وبُعد عن الطريق الحق فقد التبست واختلطت عليه الأفكار والمعاني حتى لا يهتدي إلى الطريق المستقيم ولا الفكر الصواب .

وقد وردت هذه اللفظة باشتقاقاتها في القرآن الكريم (٤٠) مرة .

المطلب الثاني : آيات أعمى البصر تفسيراً وهدايات .

قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ (الإنسان: ٢).

خلق الله –تعالى– الإنسان وزوّده بالحواس؛ ليؤدي دوره في الحياة ، وينهض بما أمره الله به من التكاليف؛ فجعله ذا سمع ليسمع المأمورات وليكف سمعه من المحرمات، وذا بصر يبصر ويتأمل ويتدبر؛ ليزداد إيماناً ويقيناً بخالق السموات والأرض .

قال ابن كثير: "جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية"[(١)]، وهذا تذكيرٌ منه –تعالى– لنا بنعمه ، وتنبيهٌ على موضع الشكر[(٢)]، وإنما خصهما الله بالذكر؛ لأنهما أعظم الحواس وأشرفها[(٣)].

ولكن بعض هذه الحواس قد تتعطل ، فإذا تعطلت كان لصاحبها حكم خاص يتعلق به .

وإذا فقد المرء بصره ونور عينيه سُمي أعمى . قال الله – تعالى –: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ (عبس: ١ — ١٠)

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٣٥٩/٦ .

(٢) جامع البيان ، للطبري ، ٥٣٦/٢٣ .

(٣) مفاتيح الغيب ، للرازي ، ٢٣٧/٣٠ .

سبب نزول الآيات :

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت : " أُنزل (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويُقبِل على الآخر ويقول : أترى بما أقول بأساً ؟ فيقول : لا . ففي هذا أُنزل "[1].

والتعرض لعنوان عماه ، إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه ﷺ وتشاغله بالقوم ، وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل: تولى؛ لأنه أعمى[2].

الرسول ﷺ يدعو صناديد قريش إلى الإسلام ويرجو بإسلامهم خيراً للإسلام في عسرته وشدته التي كان فيها بمكة ، وهؤلاء النفر يقفون في طريقه بمالهم وجاههم وقوتهم ويصدون الناس عنه .. يجيء هذا الرجل الأعمى الفقير إلى الرسول ﷺ وهو مشغول بأمر هؤلاء النفر ، لا لنفسه ومصلحته ، ولكن للإسلام ولمصلحة الإسلام فلو أسلم هؤلاء لانزاحت العقبات العنيفة والأشواك الحادة من طريق الدعوة في مكة، يجيء هذا الرجل فيقول للرسول ﷺ أقرئني وعلمني مما علمك الله ، ويكرر هذا وهو يعلم تشاغل الرسول ﷺ ، فيكره الرسول ﷺ قطعه لكلامه واهتمامه ، فيعبس ويعرض عنه رغبة في نصرة دينه وحبه لمصلحة الإسلام وحرصه على انتشاره؛ لذلك جاء العتاب من الله العلي الأعلى لنبيه الكريم صاحب الخلق العظيم[3].

وقال – تعالى –: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة (عبس) ، ٤٣٢/٥ . قال أبو عيسى هذا حديث غريب . وعلق على الرواية عبد الرزاق المهدي محقق تفسير ابن كثير : صحيح وإسناده على شرط البخاري ومسلم، ٣٨٨/٦ .

(٢) تفسير القاسمي ، ٥٣/١٧ . التفسير المنير ، ٦٢/٣٠ .

(٣) بتصرف من : في ظلال القرآن ٤٥٧/٨-٤٥٨ .

أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (النور: ٦١)

سبب نزول الآية :

عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمناهم[١]، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما أحببتم. فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا. إنهم أذنوا من غير طيب نفس، فأنزل الله الآية إلى قوله: ﴿**أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ** ﴾[٢].

اختلف المفسرون- رحمهم الله- في المعنى الذي رُفع من أجله الحرج عن الأعمى ومن ذُكر معه هاهنا. فقيل: إنها نزلت في الجهاد. أي: أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد؛ لضعفهم وعجزهم . وقيل: إنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمى؛ لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره إلى ذلك. فكرهوا أن يؤاكلوهم؛ لئلا يظلموهم، فأنزل الله هذه الآية رخصة في ذلك.

وقيل : كانوا قبل المبعث يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذراً وتقززاً لجَوَلان اليد من الأعمى وهي أخلاق جاهلية وكبر ، وكذلك لئلا يتفضلوا عليهم؛ إذ هم مقصرون عن درجة الأصحاء في الأكل فأنزل الله هذه الآية[٣].

فالحرج- أي: الإثم والضيق- مرفوع عنهم في كل ما يضطرهم إليه العذر وتقتضي

---

(١) الضمانة : الزمانة. أي: المرضى .

(٢) قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٨٤/٧ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وقال السيوطي في لباب النقول: سنده صحيح . نقلاً عن الصحيح المسند من أسباب النزول ص(١٧٣) .

(٣) بتصرف شديد من تفسير ابن كثير ، ٥٧٤/٤-٥٧٥ . تفسير القرطبي ، ٢٨٧/١٢ .

نيتهم الإتيان فيه بالأكمل ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص[١].

فمعنى الآية رفع الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيوت أقاربهم أو بيوت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو[٢]. فقد رفع الله الحرج والجناح عن هؤلاء في ترك الأمور الواجبة التي تتوقف على واحد منها وذلك كالجهاد ونحوه مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض ولهذا المعنى العام أطلق الكلام في ذلك ولم يُقيّد[٣].

وقال الله – تعالى – : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الفتح : ١٧)[٤]

يقول– تعالى ذكره– : ليس على الأعمى منكم أيها الناس ولا على المذكورين معه ضِيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوّهم للعلل التي بهم والأسباب التي تمنعهم من شهودها[٥]، أي: لا إثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم[٦].

وهذا رأي الجمهور أن الآية نزلت في بيان الأعذار في ترك الجهاد[٧].

وبالرغم من أن الله – تعالى – رفع الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ، فجائز لهم الغزو وأجرهم فيه مضاعف ، وقد غزا ابن أم مكتوم — وكان

(١) المحرر الوجيز ، ٣٢٦/١١ . انشراح الصدور في تدبر سورة النور ص(٣٤٠) .

(٢) فتح القدير ، للشوكاني ٦٥/٤ .

(٣) تفسير السعدي ، ٤١٨/٣ .

(٤) اتفق المفسرون أن هذه الآيات الثلاث فقط في شأن أعمى البصر.

(٥) جامع البيان ، للطبري ، ٢١/ ٢٧٠ .

(٦) تفسير ابن كثير ، ٥٧٤/٤ .

(٧) معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ٥٠٥/٦ .

أعمى – في بعض حروب القادسية وكان- رضي الله عنه- يمسك الراية ، فالغرض متوجه بحسب الوسع في الغزو[١].

وفي نفي الحرج عن كل الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة[٢].

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين الشريف والوضيع[٣].

٢) ينبغي الإقبال على طالب العلم المفتقر إليه الحريص عليه أزيد من غيره . فالداعية إلى الله مهمته التزكية والتذكير وأن يقبل على من أتاه طالباً الهداية كائناً من كان وألا يتشوف لمن كان عندهم استغناء[٤].

٣) الحث على الترحيب بالفقراء والإقبال عليهم في مجالس العلم وقضاء حوائجهم وعدم إيثار الأغنياء عليهم[٥].

٤) بيان شرف الفقر وعلو مرتبته وفضل أهل الدين وإن هانوا ، وخسة أهل الدنيا وإن زانوا، لذلك ينبغي رحمة المساكين ومحبتهم والسرور بقربهم وصحبتهم[٦].

٥) في وصف ابن أم مكتوم بصفة العمى ليظهر المعنى الذي شأن البشر احتقاره[٧]، وكان يجب أن يزيد لعماه تعطفاً وترؤفاً وتقريباً وترحيباً وإكراماً جبراً لكسره واعترافاً بحقه في مجيئه[٨].

---

(١) البحر المحيط ، لأبي حيان ، ٤٩١/٩ .

(٢) روح المعاني ، للألوسي ، ٢٥٩/١٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٣٨٨/٦ .

(٤) تفسير السعدي ، ٣٧٢/٥ . الأساس في التفسير ٤١٧/٦ .

(٥) الإكليل في استنباط التنزيل ص٦٣٦ .

(٦) نظم الدرر ، ٣٢٣/٨-٣٢٤ بتصرف .

(٧) المحرر الوجيز ، ٢٢٩/١٦ .

(٨) الكشاف ، ٢١٨/٤ . نظم الدرر ، ٣٢٤/٨.

وقد قال النبي ﷺ : " **إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة** "[(١)].

والمراد بالحبيبتين : المحبوبتان ؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسّر به ، أو شر فيجتنبه، والمراد أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب ، وابتلاء الله عبده في الدنيا إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة[(٢)].

٦) رفع الحرج والإثم عن الأعمى والأعرج والمريض في تركهم الجهاد ، وكذا في أي عمل لا يستطيعونه بسبب هذه الأعراض ، وكذا لا حرج عليهم في الأكل مع غيرهم من الأصحاء[(٣)]؛ لقوله – تعالى – : ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ** .... ﴾ .

٧) مراعاة الشرع لأهل الأعذار ورفع المشقة عنهم فعذرهم الله– عز وجل– عن الجهاد وغيره مما لا يستطيعون القيام به ؛ بل أعطاهم مثل أجر من يعمل ذلك إذا صدقت نياتهم .

عن أنس– رضي الله عنه– أن النبي ﷺ كان في غزاة فقال : (**إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر**)[(٤)] .

فيه أن المرء يبلغ بنيته الصادقة أجر العامل الذي أنفق وجاهد في سبيل الله ؛ لأنه لولا مرضهم وماهم فيه من الأعذار لجاهدوا مع إخوانهم في سبيل الله ، وفيه أن جميع أعمال الخير يؤجر عليها المؤمن[(٥)] كما قال – تعالى –:﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، ٢٥٥/١١ ، ح (٥٦٥٣).

(٢) فتح الباري ، ٢٥٥/١١ .

(٣) انشراح الصدور في تدبر سورة النور ، ص٣٤٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ١٣٢/٦ ،كتاب الجهاد والسير ، باب من حبسه العذر عن الغزو، ح (٢٨٣٩) .

(٥) ينظر الشرح الميسر لصحيح البخاري ، للشيخ الصابوني ،٤٤٩/٣-٤٥٠.انشراح الصدور في تدبر سورة النور ، ص٣٤٩ .

﴿ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (التوبة: ١٢٠).

وقال – تعالى – : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ [1] وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ (النساء :٩٥) .

٨) خص الإسلام أهل الأعذار بتكريم خاص ، فأسقط عنهم الجهاد في سبيل الله، وأباح لهم الأكل من بيوت الناس بدون استئذان كحق مكتسب لهم على المجتمع الذي يعيشون فيه[٢].

٩) أن الأعمى شخص كامل الأهلية ، ولديه من الحواس الأخرى ما يستطيع به من أداء العبادات والمهام المطلوبة منه ، فأذانه جائز ، وإمامته للصلاة جائزة ، لأن ابن مكتوم كان يؤذن على عهد النبي ﷺ ، وقد استخلفه النبي ﷺ في بعض الغزوات يؤم بالناس[٣].

١٠) ينبغي على الحكومات والمؤسسات تيسير سبل تحصيل العلم وسبل الحصول على المهن والوظائف وتذليل كافة الصعوبات لذوي الاحتياجات الخاصة وأهل الأعذار ، حتى يشعروا بانتمائهم للمجتمع .

---

(١) ورد في سبب نزول (غير أولي الضرر) ما أخرجه البخاري عن البراء– رضي الله عنه– قال: لما نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ١٣٦/٩ ، كتاب التفسير، باب سورة النساء ، ح (٤٥٩٣).

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ٢٥٥/٥ .

(٣) جامع البيان ، ١٠٤/٢٤ . أحكام الأعمى في الفقه الإسلامي ، محمد عمر صغير شماع ، شبكة الألوكة.

١١) على المجتمعات والأفراد احتضان أهل الأعذار وذوي الاحتياجات الخاصة واحترامهم وتقديرهم وعدم احتقارهم أو إشعارهم بالدونية فهم فئة من المجتمع يرحم الله المجتمعات بضعفائها وفقرائها .

المطلب الثالث: آيات أعمى البصيرة في الدنيا والآخرة تفسيراً وهدايات

أولاً : أعمى البصيرة في الدنيا .

قال الله – تعالى – عن المنافقين: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (البقرة : ١٨) .

أي: ﴿ صُمٌّ ﴾ عن استماع الحق؛ لأنهم لا يقبلونه ﴿بُكْمٌ ﴾ أي: خرس عن النطق بالخير فهم لا يقولونه ﴿عُمْيٌ ﴾ أي: لا بصائرلهم يميزون بها بين الحق والباطل ، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى والعمى ذهاب البصر ، كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدُّوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جُعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب إدراكه ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ عن ضلالتهم ونفاقهم[١]، فكل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى .﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ تفريع على جملة ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ ؛ لأن من اعتراه هذه الصفات انعدم منه الفهم والإفهام وتعذر طمع رجوعه إلى رشد أو صواب[٢]. وإنما أضاف الرجوع إليهم لأنهم انصرفوا باختيارهم لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات التصفح ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة ، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والنطق به كانوا كالصم البكم . والعرب تسمي المعرض عن الشيء أعمى[٣].

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ، للقنوجي ، ٩٩/١ .

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٣١٣/١-٣١٤ .

(٣) زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ٤١/١ .

كما وصف الله – تعالى – الكفار بهذه الصفات . فقال : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (البقرة : ١٧١).

أي: مثلك يا محمد ﷺ ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله– عز وجل– كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلا صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك كأنه أصم أبكم أعمى عن الهدى لا يبصرونه[١]. وإنما يقال للصحيح البصر الذي لا يُعمِل بصره أعمى؛ لأنه قد حل محل من لا يبصر[٢].

﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فالمراد العقل الاكتسابي؛ لأن العقل المطبوع كان حاصلاً لهم ، ولما كان طريق اكتساب العقل المكتسب هو الاستعانة بهذه القوى الثلاثة فلما أعرضوا عنها فقدوا العقل المكتسب[٣]. ولذلك قيل : ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هُدى أو يردُّه عن ردى[٤].

وقال الله – تعالى – عن بني إسرائيل وتكذيبهم وجرائمهم: ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (المائدة : ٧١) .

أي: ظن بنو إسرائيل أن معصيتهم وتكذيبهم لا يجرّ عليهم عذاباً ولا عقوبة واستمروا على باطلهم فحسبوا أنه لايصيبهم من الله (فتنة) أي: بلاء وعذاب ، وأنهم لا يعذبهم الله فأمنوا بأس الله – تعالى – وتمادوا في فنون الغي والفساد . ﴿ فَعَمُوا۟ ﴾ عن الحق فلم يبصروه بعد ما هداهم الله إلى معالمه الظاهرة ﴿ وَصَمُّوا۟ ﴾ عنه فلم

(١) معالم التنزيل ، للبغوي ١/٢٨١-١٨٢ .

(٢) الجمان في تشبيهات القرآن ، ص٩٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ، ٨/٥ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ، ٨٥/٤ .

يسمعوه ، ولذلك فعلوا ما فعلوا .﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ببعث عيسى عليه السلام ولم يسند التوبة إليهم كسائر أحواله من الحسبان والعمى والصمم تجافياً عن الصريح بنسبة الخير إليهم ، وإنما أشير إليها في ضمن بيان توبته – تعالى – عليهم تمهيداً لبيان نقضهم إياها بقوله – تعالى –:﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ بالكفر بمحمد ﷺ [1] والمراد بالعمى والصمم: الجهل والكفر[2].

وفي قوله: ﴿ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ إشارة إلى أن عمى البصيرة والصمم عن المواعظ لم يكن للجميع ؛ بل كان للكثير منهم ، والله – تعالى – يعاقب الأمم بذنوبها إذا كثرت وشاعت فيها ، إذ العبرة بالغالب[3] .

وقال – تعالى – : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾ (الأنعام :٥٠) هذا تنبيه من الله لنبيه ﷺ على مواضع الحجة على مشركي قريش فهل يستوي الأعمى عن الحق والبصير به ؟! ، والأعمى : الكافر؛ لأنه عمي عن حجج الله ، وأمره ونعمه عليه ، والبصير : العبد المؤمن الذي أبصر بصراً نافعاً حجج الله وآياته فاهتدى بها وعمل بطاعة ربه وانتفع بما آتاه الله[4]﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيما احتج عليكم به أيها القوم من هذه الحجج فتعلموا صحة ما أقول وادعوكم إليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان والأنداد بالله –ربكم– وتكذيبكم إياي مع ظهور حجج صدقي لأعينكم فَتَدَعُوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذي به تفوزون[5].

---

(١) انظر : الكشاف ،٦٣٣/١ . ومعالم التنزيل ، ٨٢/٣ . وتفسير أبي السعود ، ٧٢/٢-٧٣ . ومحاسن التأويل، ٣١٠/٦. وتفسير السعدي ،٥٠٥/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ،٥٨/١٢ .

(٣) تفسير المراغي ، ٤٧٦/٢ .

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ، لمكي القيسي ، ٢٠٣٠/٣ . والدر المنثور ،٢٧١/٣ .

(٥) جامع البيان ، ٢٥٥/٩ .

قال الله – تعالى – : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الأنعام : ١٠٤) .

ذكر الله – تعالى – في الآيات السابقة[١] الأدلة على توحيده وكمال قدرته وعلمه، فجاءت هذه الآية تقريراً لأمر الدعوة الإسلامية والرسالة وتبليغ النبي ﷺ وحي ربه[٢].

البصائر : هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ[٣]. والمقصود بالبصيرة : الحجة البيّنة الظاهرة[٤].

فكما أن البصر اسم للإدراك التام الكامل الحاصل بالعين التي في الرأس ، فالبصيرة اسم للإدراك التام الحاصل في القلب[٥].

قال ابن زيد : البصائر : الهدى ، بصائر في قلوبهم لدينهم وليست بصائر الرؤوس، قال : إنما الدَّيِّن بصره وسمعه في هذا القلب[٦].

عرض القرآن الكريم آيات في صفحة الوجود وفي مكنونات النفوس ثم أعقبه بقوله: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ... ﴾ فهذا الذي جاء من عند الله بصائر تهدي ، فمن أبصر فلنفسه؛ لأنه سيجد الهدى والنور ، وليس وراء ذلك إلا العمى فما يبقى على

---

(١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنعام:٩٥-٩٩) .

(٢) التفسير المنير ،٣١٩/٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٦٧/٣ .

(٤) جامع البيان ،٤٧٠/٩ .

(٥) تفسير الفخر الرازي ، ١٣٣/١٣ .

(٦) جامع البيان ،٤٧٠/٩ .

الضلال بعد هذه الآيات والبصائر إلا أعمى معطل الحواس مغلق المشاعر مطموس الضمير[1] ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ الإبصار هنا ليس هو النظر الحسي ، إنما هو الإدراك الحقيقي الذي يدرك معاني الآيات وما تدل عليه. ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ شبه –سبحانه– الإعراض عن آيات الله – تعالى – بمن عمي فلا يبصر ، فعليه تبعة إعراضه[2]، كما قال – تعالى – : ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ (يونس : ١٠٨) .

قال الله – تعالى – : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (يونس : ٤٣) .

يقول – تعالى ذكره– : أفأنت يا محمد –ﷺ– تُحدِثُ لهؤلاء الذين ينظرون إليه وإلى أدلتك وحججك فلا يوفَّقون للتصديق بك أبصاراً – لو كانوا عمياً – يهتدون بها ويبصرون ؟ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ، ولا يقدر عليه أحد سواي ، فكذلك لا تقدر على أن تُبصِّرهم سبيل الرشاد أنت؛ لأن ذلك بيدي وإليَّ[3].

فالله – تعالى – بيّن لنبيه ﷺ أن من الكفار من ينظر إليه ببصره لكنه لا يعتبر ولا ينظر ببصيرته فهو لذلك كالأعمى ، أفتريد أن تهدي العُمي ؟ والهداية أجمع إنما هي بيد الله– عز وجل–[4]، فالآية فيها استفهام إنكاري ، والمعنى أنت لا تهدي عُمي القلوب أبصروا أولم يبصروا[5].

---

(١) في ظلال القرآن ، ٣٣٣/٣ .

(٢) زهرة التفاسير ، ٢٦١٨/٥ –٢٦١٩ .

(٣) بتصرف من جامع البيان ، ١٨٦/١٢ .

(٤) المحرر الوجيز ، ٤٨/٩–٤٩ .

(٥) حدائق الروح والريحان ، للعلامة الهرري ،٢٥٢/١٢ .

وهذا من الله – تعالى – ذكره تسلية لنبيه ﷺ وتعزية له عنهم وأمرٌ برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله[١].

وقال– عز وجل–: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (هود : ٢٤) .

أي: الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء فأولئك كالأعمى والأصم وهؤلاء كالبصير والسميع فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به ، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق ، يميّز بينه وبين الباطل ، فيتبع الخير ويترك الشر ، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة ، فلا يروج عليه باطل فهل يستوي هذا وهذا ؟ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء[٢]. كما قال في الأخرى:﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحشر : ٢٠)

وإجمال المعنى : إنه – تعالى – شبه الكافرين بالعُمي الذين لا يستعملون أبصارهم فيما يفضلون به الحيوان العُجْم من فهم آيات الله التي تزيدهم علماً وهدى ، وشبه المؤمنين الذين انتفعوا بأسماعهم وأبصارهم واهتدوا إلى الجنة بحال من هو سميع بصير فيهتدي بسمعه إلى ما يبعده عن مواضع الهلاك ويهتدي ببصره بواسطة النور حين السير في الظلام[٣].

وفيه تشبيه أمر معقول بأمر محسوس وذلك أنه شبّه عمى البصيرة بعمى البصر فهو متردد في ظلم الضلالات ، كما أن هذا متحير في الطرقات[٤].

---

(١) جامع البيان ،١٢/ ١٨٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٣/٥٢٩-٥٣٠ .

(٣) تفسير المراغي ، ٤/٣٠٦ .

(٤) الدر المصون ، للسمين الحلبي ، ٤/٩٠ .

وقال – تعالى – : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ (الرعد: ١٦) .

﴿ قُلْ ﴾ تصويراً لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها ﴿ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ الذي هو الموحد العالم بذلك ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ ﴾ التي هي عبارة عن الكفر والضلال ﴿ وَٱلنُّورُ ﴾ الذي هو عبارة عن التوحيد والإيمان .

وقد دل النظم الكريم على أن الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله– سبحانه– في الضلال المحض والخطأ البحت ، بحيث لا يخفى بطلانه على أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدي إلى شيء أصلاً ، وليس لهم في ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأً لغلطهم وخطئهم فضلاً عن الحجة[1]. والاستفهام للتقريع والتوبيخ. أي: كيف يكونان مستويين وبينهما من التفاوت ما بين الأعمى والبصير وما بين الظلمات والنور ، ووحد النور وجمع الظلمة؛ لأن طريق الحق واحدة لا تختلف وطرائق الباطل كثيرة غير محصورة[2].

وقال– عز من قائل– : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الرعد : ١٩) .

أي: لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد– ﷺ – هو ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل كله حق يصدق بعضه بعضاً، لا يضاد شيء منه شيئاً آخر فأخباره كلها حق وأوامره ونواهيه عدل ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى — عمى القلب — لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه ،

(١) تفسير أبي السعود ، ١٥٦/٣ .

(٢) فتح القدير ، ٨٧/٣–٨٨ .

أفهذا كهذا ؟ إن بُعد ما بينهما كبُعد ما بين الزَبَد والماء والخبث والإبريز . لا استواء والمراد كمن لا يعلم ذلك ؛ إلا أنه أُريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالأعمى . ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة – جعلنا الله منهم – فهم الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا[١].

وقال – تعالى – : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج : ٤٦) .

لما ذكر الله – تعالى – من كذب الرسل من الأمم الخالية قال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ ﴾ فاحتمل أن يكون حثاً على السفر ليشاهدوا مصارع الكفار فيعتبروا ، أو يكونوا قد سافروا وشاهدوا فلم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا ؛ لأن مجرد نظر العين وسماع الأذن وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار غير مفيد ولا موصل إلى المطلوب[٢].

فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك الاعتبار؛ لأن الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار ، وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل ، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب؛ لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع ألبته[٣].

ومعنى ذلك أنهم بمنزلة الأنعام لهم آلات الاستدلال ، وقد انعدمت منهم آثارها ، فلهم قلوب لا يعقلون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، فهذه طرق لحصول العلم بالمبصرات والمسموعات والمدرك لذلك هو الدماغ فإذا لم يكن في الدماغ عقل،كان المبصر كالأعمى والسامع كالأصم فآفة ذلك هو اختلال

(١) بتصرف من : تفسير ابن كثير ، ٦٣٧/٣ . الكشاف ، ٣٥٧/٢ . روح المعاني ، ١٣٢/٧ .

(٢) البحر المحيط ، ٥٢١/٧ . تفسير السعدي ، ٣٢٨/٣ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ، ٤٤/٢٣-٤٥ .

العقل. وقوله ﴿ فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ يفيد هذا الوصف وراء التوكيد تعريضاً بالقوم أنهم لم ينتفعوا بأفئدتهم مع شدة اتصالها بهم إذ هي قارة في صدورهم[1].

ولهذا قال ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: أبصار العيون ، فإنهم يرون بها ، فأعينهم صحيحة وقلوبهم عُمي . ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ هكذا القلب من شأنه أن يبصر فإن بصره هو البصر وعماه هو العمى[2].

أي: ليس الخلل في مشاعرهم ، وإنما هو في عقولهم ؛ لأنها لا تدرك مواطن الحق ومواضع الاعتبار[3]، وهذا هو العمى الضار في الدين ، عمى القلب عن الحق ، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات ، وأما عمى البصر فغايته بلغة ومنفعة دنيوية[4]، ومعلوم أن الأبصار قد تعمى ولكن المنفي فيها ليس العمى الحقيقي وإنما هو ثمرة البصر وهو التأدية إلى الفكرة فيما يشاهد البصر لكن ذلك متوقف على العقل الذي محله القلب[5].

ويمعن في تحديد مواضع القلوب ﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ زيادة في التوكيد وزيادة في إثبات العمى لتلك القلوب على وجه التحديد ، ولو كانت هذه القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى وجنحت إلى الإيمان خشية العاقبة الماثلة في مصارع الغابرين وهي حولهم كثير[6].

وقال – تعالى – في صفات عباده– عز وجل– : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (الفرقان : ٧٣) .

---

(١) التحرير والتنوير ، ٢٨٩/١٧ .

(٢) تفسير شيخ لإسلام ابن تيمية ، ٤٣٥/٤. وفتح الرحمن في تفسير القرآن،للقاضي المقدسي ، ٤٣٦/٤.

(٣) فتح القدير ، ٥٦٣/٣ .

(٤) تفسير السعدي ، ٣٢٨/٣ .

(٥) البحر المحيط ، ٥٢١/٧ .

(٦) في ظلال القرآن ، ٦٠٩/٥ .

يقول – تعالى ذكره–: والذين إذا ذكَّرهم مذكِّر بحجج الله لم يكونوا صماً لا يسمعون ، وعمياً لا يبصرونها ، ولكنهم يقاظ القلوب ، فهماء العقول ، فيوعون مواعظه آذاناً سمعته ، وقلوباً وعته ، وذلك أن الكافر إذا تُليت عليه آيات الله خرّ عليها – أي: مرّ عليها[١]– أصم وأعمى ، وخرُّه عليها إقامته على الكفر[٢]، وقيل: الذي يخر أصم وأعمى هو المنافق أو الشاك[٣].

أما المؤمنون لم يتغافلوا عن آيات الله ولم يثبتوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يسمعوا ولم يروا وإن لم يخرّوا حقيقة[٤]. وفي هذا تعريض بما عليه الكفرة والمنافقون الذين إذا سمعوا كلام الله لم يتأثروا به ، ولم يتحولوا عما كانوا عليه ؛ بل يستمرون على كفرهم وعصيانهم وجهلهم وضلالهم فكأنهم صم لا يسمعون ، وعُمي لا يبصرون[٥].

وقال – تعالى –: ﴿ **وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ (النمل : ٨١) وقال –عز وجل–: ﴿ **وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾** ﴾ (الروم : ٥٣) .

شبه الله – تعالى – الكفار بالعُمي في أنهم لا يهتدون فقال ﴿ **وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ** ﴾ أي: بموجد الهداية على الدوام في قلوب ﴿**ٱلْعُمْىِ** ﴾ أي: في أبصارهم وبصائرهم مزيلاً لهم وناقلاً ومبعداً ﴿**عَن ضَلَٰلَتِهِمْ** ﴾ عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن يزالوا عنها أصلاً فإن هذا لا يقدر عليه إلا الحي القيوم[٦] . فما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى

(١) الأفعال في القرآن الكريم ، ٤١٧/١ .

(٢) بتصرف شديد من جامع البيان ، ٥٢٧/١٧–٥٢٨ .

(٣) المحرر الوجيز ، ٤٤/١٢–٤٥ .

(٤) زاد المسير ، ١١٠/٦ .

(٥) حدائق الروح والريحان ، ١٩٩/٢٠ .

(٦) نظم الدرر ، ٤٥٠/٥ .

وأعمى قلبه عن الإيمان[1]؛ لأن على بصره غشاوة تمنعه عن النظر فيما أتيت به نظراً مؤدياً إلى الحق[2] .

وقال – تعالى – : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الزخرف : ٤٠) .

يقول – تعالى ذكره– لنبيه محمد ﷺ : أفأنت تهدي العمي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره واستحوذ عليه الشيطان فزيّن له الرّدَى[3]، وهذا على جهة التسلية له ﷺ فإن حواسهم لا تفيد شيئاً[4]، فلا يضيق صدرك إن كفروا ، وأن الهدى والرشاد والخذلان في القلب خَلْق الله – تعالى – يضل من يشاء ويهدي من يشاء[5].

قال – تعالى –: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾ (فاطر : ١٩) وقال – تعالى– : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ..... ﴾ (غافر : ٥٨) .

هذا مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين ، فالمؤمن سميع بصير ، يمشي في نور على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم يمشي في ظلمات لا خروج له منها ؛ بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم .

فكما لايستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره؛ بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار[6].

---

(١) معالم التنزيل ، ١٧٦/٦ .

(٢) التفسير المنير ، ٣١/٢٠ .

(٣) جامع البيان ، ٦٠٠/٢٠ .

(٤) المحرر الوجيز ، ٢٦٠/١٤ .

(٥) تفسير القرطبي ، ١٦ /٨٠ .

(٦) تفسير ابن كثير ، ٢٨١/٥-٤٥٦ .

وقيل المقصود بهما: الجاهل والعالم[١].

وقد ضرب الله لهما مثل الأعمى والبصير ؛ ليستبين ذلك الفارق على أتم وجه وأعظم تفصيل ، فما الأمثال إلا وسائل للإيضاح تبين للناس المعقولات وهي لابسة ثوب المحسوسات فيتضح ما انبهم منها وخفي من أمرها[٢] كما قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر : ٢١) .

وقال – تعالى –: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ .... ﴾ (فصلت : ١٧)

أخبر الله – تعالى – عن ثمود وهم قوم صالح عليه السلام هداهم الله هداية بيان بنصب الأدلة التكوينية وإنزال الآيات التشريعية وآتاهم الله الناقة آية عظيمة ، ولكنهم من ظلمهم وشرهم استحبوا العمى الذي هو الكفر والضلال على الهدى الذي هو العلم والإيمان[٣].

وقال – تعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ (فصلت : ٤٤)

أي: لا يبصرون به — بالقرآن – رشداً ولا يهتدون به ولا يزيدهم إلا ضلالاً ، فإنهم إذا ردوا الحق ازدادوا عمى إلى عماهم وغيًّا إلى غيهم[٤]؛ وذلك لاستيلاء الغفلة عليهم وسدّ الغشاوات الطبيعية طرق اسماع قلوبهم وأبصارهم فلا ينفذ فيها ولا يتنبهوا بها ولا يتيقظوا[٥].

وقال – تعالى –: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ (محمد : ٢٢. ٢٣) .

---

(١) فتح الرحمن ، ٤٤٨/٤ .

(٢) تفسير المراغي ، ٣٢٧/٨ .

(٣) تفسير المراغي ، ٣٥٥/٨ . وتفسير السعدي ، ٣٩١/٤ .

(٤) تفسير السعدي ، ٤٠٣/٤ .

(٥) تفسير القاسمي ،٢٨١/١٤ .

هذا خطاب للذين في قلوبهم مرض بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتقريع[١]، أي: فهل ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾ فلعلكم أو فهل يُتوقع منكم[٢] إن توليتم عن تنزيل الله- جل ثناؤه- وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به أن تعصوا الله فتكفروا به وتسفكوا الدماء وتعودوا لما كنتم عليه في الجاهلية من التشتت والتفرق[٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات إيذاناً بأن ذكر هناتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب ، وحكاية أحوالهم لغيرهم[٤] ﴿ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أبعدهم الله من رحمته ، فأصمهم عن الانتفاع بما سمعوا وأعمى أبصارهم عن الاستفادة مما شاهدوا من الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق فلم يكن سماعهم سماع إدراك ولا إبصارهم إبصار اعتبار[٥].

والمقصود أن الله سلبهم عقولهم فلا يتبينون حجج الله ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته[٦]، فقد أصمهم الله عن الحق ﴿ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أي: قلوبهم عن الخير ؛ حتى لا ينقاد للحق وإن سمعه ، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل[٧]. وهم لم يفقدوا السمع ، ولم يفقدوا البصر ، ولكنهم عطلوا قوة الإدراك وراء السمع والبصر فلم يعد لهذه الحواس وظيفة لأنها لم تعد تؤدي هذه الوظيفة[٨].

---

(١) فتح القدير ، ٤٦/٥ .

(٢) التفسير المنير ، ١١٥/٢٦ .

(٣) جامع البيان ، ٢١٣/٢١ .

(٤) تفسير أبي السعود ، ٥٩١/٥ .

(٥) تفسير المراغي ، ١٩٢/٩ .

(٦) جامع البيان ، ٢١٥/٢١ .

(٧) تفسير القرطبي ، ٢٠٩/١٦ .

(٨) في ظلال القرآن ، ٤٦٤/٧ .

ثانياً : مصير أعمى البصيرة في الآخرة .

قال الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٦) لما خلق الله – تعالى – الإنسان زوده بمفاتيح العلوم والمعارف وهي (السمع – البصر – الفؤاد) وسيسأله يوم القيامة عن هذه الجوارح وعما استعملها فيه؛ لأنها آلات والمستعمل لها هو الروح ، فإن استعملها في الخير استحق الثواب ، وإن استعملها في الشر استحق العقاب . وقيل : إن الله– سبحانه– يُنطق الأعضاء عند سؤالها فتخبر عما فعله صاحبها . وتشهد على صاحبها[١]، فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي[٢]، فيقال للإنسان : لم سمعت ما لم يحل لك سماعه؟ ولم نظرت إلى ما لم يحلّ لك النظر إليه ؟ ولم عزمت على ما لم يحلّ لك العزم عليه ؟[٣] فكأنه قال : كل هذه كان الإنسان عنه مسؤولاً أي: عما حصل لهؤلاء من الإدراكات ووقع منها من الخطأ[٤].

قال – تعالى –: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٢) أي: ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب وأعمى عن الهداية وأعمى عن حجج الله وآياته وبيناته وعجائبه[٥]، فالعمى هنا هو عدم إدراك النعمة أو عدم شكرها والكفر بها[٦]، فهو أعمى عن الحق لم يقبله ، ولم ينقد له ؛ بل اتبع الضلال[٧]، فهو في الآخرة الغائبة عنه التي لم يرها أشد عمى وأضل سبيلاً ؛ أي:

(١) فتح القدير ، ٢٧٤/٣ . تفسير القاسمي ،٢٢٨/١٠ .

(٢) فتح الرحمن ، ٩٩/٤ .

(٣) الكشاف ، ٤٤٩/٢ .

(٤) فتح الرحمن ، ٩٩/٤ .

(٥) جامع البيان ، ١١/١٥ . تفسير ابن كثير ،١٦٥/٤ . فتح الرحمن ، ١١٩/٤ .

(٦) زهرة التفاسير ، ٤٤٢٨/٨ .

(٧) تفسير السعدي ،١٢٤/٣ .

أخطأ طريقاً منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ؛ لأنه أعمى عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا فإن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان[1].

وقال- عز وجل- : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الإسراء:٩٧) .

إن يوم الفصل يظهر لكل أحد في كل حالة من عظمته – تعالى – ما يضمحل معه كل عظمة. قال – تعالى –: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ ﴾ بنون العظمة أي: نجمعهم بِكُره ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ يمشون أو مسحوبين عليها إهانة لهم فيها كما لم يذلوها بالسجود لنا ﴿ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ كما كانوا في الدنيا لا ينتفعون بأبصارهم ولا نطقهم ولا أسماعهم، ولما كان المقام للانتقال من مقام إلى آخر ، قدم البصر لأنه العمدة في ذلك ، وثنى بالنطق لأنه يُمكِّن الأعمى الاسترشاد وختم بالسمع لأنه يمكن معه وحده نوع رشاد[2].

وجائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى يوم القيامة ، ثم يُجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أُخر غير حال الحشر ، وقد يكون المقصود﴿ عُمْيًا ﴾ لا يرون شيئاً يسّرهم ويقرّ أعينهم و﴿ وَبُكْمًا ﴾ لا ينطقون بحجة و ﴿ وَصُمًّا ﴾ لا يسمعون شيئاً يسرهم ولا يسمعون مايلتذون به[3].

(١) بتصرف من جامع البيان ، ١١/١٥ . تفسير السعدي ،١٢٤/٣ . فتح الرحمن ، ١١٩/٤ . الهداية ، ٤٢٥٤/٣ .

(٢) نظم الدرر ، ٤٢٨/٤ .

(٣) جامع البيان ، ٩٣/١٥-٩٤ . فتح الرحمن ، ١٣٣/٤ .

سُئل النبي ﷺ : يا نبي الله ، يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : " **أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة** " قال قتادة : بلى وعزة ربنا[١].

قال – تعالى –: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾** ﴾ (طه : ١٢٤ – ١٢٦) .

أي: من خالف أمري وما أنزلته على رسولي وأعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه[٢] فإن له في هذه الدنيا عيشاً ضيقاً ، ومعيشة شديدة منغصة ، إما بشح المادة، وإما بالقلق والهموم والأمراض[٣]. وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة[٤].

وقيل: المقصود بـ ﴿ **مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ عذاب القبر ، حيث يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو الذي رجحه الطبري[٥].

وقد تكون المعيشة الضنك عامة في دار الدنيا بما يصيب المعرض عن ذكر ربه من الهموم والغموم والآلام التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ وفي الدار الآخرة لإطلاق المعيشة الضنك وعدم تقييدها[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، ٤٣٧/٩ ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ **الَّذِينَ يُحْشَرُونَ** ..... ﴾ سورة الفرقان ، ح٤٧٦٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٣٤٧/٤ .

(٣) التفسير المنير ، ١٦/ ٢٩٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ٣٤٧/٤ .

(٥) جامع البيان ، ١٩٧/١٦ .

(٦) تفسير السعدي ،٢٥٨/٣ .

وقرئ (ضُنكى) على فعلى ، ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته[١] ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: لا حجة له ، وقيل: عُمِّي عليه كل شيء إلا جهنم ، ويحتمل أنه يحشر أو يبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضاً[٢]. ولهذا قال ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ ، قال هذا على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة ، ﴿وَقَدْ كُنتُ﴾ في الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾ فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة؟

فكان الجواب هذا هو عين عملك والجزاء من جنس العمل فكما عميت عن ذكر ربك وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه ، أعمى الله بصرك في الآخرة[٣]، ويعاملك معاملة من ينساك ويتركك في جهنم[٤] فقد أتتك آياتنا واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ، ولم تتبصر وتركتها وعُميت عنها ، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل عماك غطاءه عن عينيك ، فقد توعد الله المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة[٥].

وجعل الله عقابه يوم الحشر أن يكون أعمى تمثيلاً لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا وهي حالة عدم النظر في وسائل الهدى والنجاة، وذلك العمى عنوان غضب الله عليه[٦].

---

(١) الكشاف ، ٥٥٨/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٣٤٩/٤ .

(٣) تفسير السعدي ، ٣٥٨/٣-٣٥٩ .

(٤) جامع البيان ، ٢٠٣/١٦ . وتفسير ابن كثير ، ٣٤٩/٤ .

(٥) الكشاف ، ٥٥٨/٢ .

(٦) التحرير والتنوير ، ٣٣٢/١٦ .

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) بلاغة القرآن حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوسات حتى يدركها الإنسان جيداً، فقد ضرب الله مثلاً للكافرين والمنافقين بأنهم صم بكم عمى ؛ لأنهم فقدوا كل استعداد للاهتداء فقد عطلوا تعطيلاً معنوياً حواسهم لتوغلهم في الفساد(١).

٢) واجب الداعية هو إبلاغ الدعوة إلى الآخرين ، ولا يشترط أن يقنعهم وأن يدخل الإيمان في قلوبهم وأن يتجاوب معه الجميع فهذا لا يقدر عليه إلا الله –عز وجل– ولذلك عليه ألا يصاب بالإحباط ولا يكون سبباً لتثبيط الهمم(٢).

٣) من أبصر الحق وآمن بدعوة الإسلام والقرآن فلنفسه أبصر وإياها نفع ، ومن عمي عنه فعلى نفسه الوبال وإياها ضر(٣).

٤) ذكر ما فعله بنو إسرائيل وما عاقبهم الله به ؛ لتتقي الأمة الإسلامية الهوان وتحذر مزالق الطريق ، فإن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل(٤). فلا بد من حساب ولا بد من عقاب لكل جريمة ، فالله يمهل ولا يهمل ؛ ليتوب العباد وإلا فالعقاب قائم(٥).

٥) العبرة بالبصيرة القلبية لا بالبصر ، فكم من أعمى هو أبصر للحقائق وطرق النجاة من ذي بصر حاد حديد ، فعلى العبد المحافظة على بصيرته يتجنب مدمرات القلوب من الكذب والترهات والخرافات والكبر والعجب والحب والبغض في غير الله(٦).

---

(١) بتصرف من : أيسر التفاسير ، للجزائري ، ٢٢/١ . وتفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة – البقرة) ، للعثيمين،٦٤/١ .

(٢) بتصرف من : سورة النمل دراسة وتحليل ، د. عبد الله الجوالي ، ص٨١ .

(٣) التفسير المنير ، ٣٢٠/٧ .

(٤) بتصرف من في ظلال القرآن ، ٨١٣/٢ .

(٥) التفسير الموضوعي ، ٣٥٨/٢ .

(٦) بتصرف من : أيسر التفاسير ، ٤٢٠/٢ .

٦) الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان؛ فلذا هم لا يسمعون الهدى ، ولا يبصرون الآيات مهما كانت واضحات ، وعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعاويهم[١].

٧) لا يستحق المنافقون إلا الطرد والإبعاد من رحمة الله وإلقاء الصمم في الآذان عن سماع الحق والعمى في الأبصار والقلوب عن إدراك الخير ، فقد سلبهم الله الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم حتى لا ينقادوا للحق فكأنهم البهائم التي لا تعقل[٢].

٨) جعل الله – تعالى – لمن اتبع هداه وتمسك بدينه العيش الهنيء الذي لا همّ فيه ولا غمّ ، وجعل لمن أعرض عن دينه التعب والنصب ، وهو في الآخرة أشد تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر ألماً[٣].

٩) يحشر الكافر يوم القيامة مسحوباً على وجهه أو يمشي عليه ، فهو أعمى لا يرى شيئاً يَسُرّه ، كما كان في الدنيا أعمى عن الحق واتباع الهدى والجزاء من جنس العمل .

المطلب الرابع: الآيات التي ورد فيها مشتقات العمه[٤] تفسيراً وهدايات

أولاً : (يعمهون)

قال – تعالى – في معرض الحديث عن المنافقين: ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ (البقرة : ١٥)

وقال –عز وجل– في معرض الحديث عن المشركين: ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾** ﴾ (الأنعام : ١١٠)

---

(١) المرجع السابق ، ٥٩٣/٢ .

(٢) التفسير المنير ، ١١٩/٢٦ .

(٣) تفسير المراغي ، ١٣٥/٦ .

(٤) سبق بيان معنى العمه ، راجع ما سبق.

وقال- جل شأنه- عن الضالين: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (الأعراف : ١٨٦)

وقال- عز من قائل- عن الكفار المنكرين للبعث: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وقال - تعالى - في معرض الحديث عن قوم لوط- عليه السلام-: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾(الحجر:٧٢)

وقال -عز وجل- عن الكفار: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ وكذلك عن المنكرين للبعث ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (النمل : ٤)

كل الآيات السابقة ، ذُكر فيها الفعل المضارع (يعمهون) لبيان حال المنافقين والمشركين الذين ينكرون البعث ويكفرون بالرسل ، فهم جميعاً يشتركون في صفة الحيرة والتردد والتمادي في الضلال والكفر والشر .

وقد أجمع المفسرون أن معنى (يعمهون) فيها كلها بمعنى يتمادون ويترددون ويتخبطون في الضلال[١] .

و﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ جملة فعلية لبيان حال المنافقين والكفار والمشركين فجاءت على الغيبة إعراضاً عنهم[٢]، والجمل الفعلية تفيد التجدد والحدوث[٣] فهم أبداً متزايدوا الطغيان،

(١) انظر : جامع البيان ،٣٢٣/١ ،١٠/٩،٤٩٢/١٢،٦٠٤/١٣٠ ،١٤/١٧،٩١/١٨،٩٢/٧ .المحرر الوجيز،١٢٦/١ ، ١٣٠/٦ ، ٢١٩/٧ ، ١٧/٩ ، ١٤٤/١٠ ، ٢٤٦/١١ ، ٩٠/١٢.تفسير ابن كثير، ٧٢/١٧٣،٣/١ ،١٩/٤-٦٥٦ .

(٢) البرهان ، للزركشي ،٥٣٨/٢ . والتفسير المنير ، ٨٦/١ .

(٣) البرهان ، ٦٣/٤ . وقواعد التفسير ، ٢٥٥/١ .

وهم في حيرة مستمرة دائمة[1]، حيارى ضلالاً لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً، ولايدرون إلى أين يتوجهون[2].

وقد ورد هذا الفعل (٧) مرات فقط في القرآن الكريم.

ثانياً : (عمين) و (عمون)

قال الله – تعالى – في قصة نوح عليه السلام مع قومه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأعراف : ٦٤) أي: استمروا على تكذيبه وأصروا على كفرهم فأنجاه الله والمؤمنين معه في السفينة من الغرق وأغرق المكذبين المصرّين ، وتقديم الإنجاء على الإغراق للمسارعة إلى الإخبار به ، والإيذان بسبق الرحمة على الغضب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ أي: عُمي القلوب عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد ، وقيل: عن نزول العذاب بهم[3].

ولما افتتحت القصة بنسبتهم إلى الضلال باطلاً ، وهو ناشئ عن عمى البصيرة أو البصر ، ناسب أن يقلب الأمر عليهم على وجه الحق فقال مؤكداً لإنكارهم ذلك ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ ﴾ أي: لما في جبلتهم من العوج ﴿ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ أي: مطبوعين في عمى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه ، ثابت لهم ذلك[4].

وقال – تعالى – عن المشركين منكري البعث يوم القيامة : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (النمل : ٦٦)

(١) نظم الدرر ، ٤٧/١ . وزهرة التفاسير ، ١٣٨/١ .

(٢) الكشاف ، ١٩٠/١ . وتفسير القاسمي ، ٥١/٢ .

(٣) البحر المحيط ، ٨٥/٥ . وروح المعاني ، ٣٩٢/٤ .

(٤) نظم الدرر ، ٥٠/٣ .

أي: بل تدارك علمهم. أي: تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أو لا ؟[١] ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾. أي: شاكون في وجودها ووقوعها[٢]، ثم أردف بصفة هي أبلغ من الشك وهي العمى بالجملة عن أمر الآخرة[٣] فوصفهم بالعمى واختلال البصيرة بحيث لا يدركون الدلائل التي تدل على أنها كائنة لا محالة[٤] فقال: ﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ وهذا أسوأ الأحوال وأفظعها وهو كونهم عمياً قد اختلت بصائرهم بالكلية بحيث لا يدركون طريق العلم ، فقد جعل – تعالى – الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عدّاه بـ (مِن) دون (عن) ؛ لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم ، فيكون الشخص عاكفاً على تحصيل مصالح بطنه وخرجه لا يتدبر ولا يتبصر فيما عدا ذلك[٥].

وهذه الكلمة (عمين) و (عمون) لم ترد كل واحدة منهما إلا مرة واحدة في القرآن الكريم وهي بمعنى عمى القلب أو عمى البصيرة .

ثالثاً : (فعُمّيت) و (فَعَمِيت)

قال – تعالى – في قصة نوح عليه السلام مع قومه: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (هود : ٢٨) .

يقول – تعالى ذكره– مخبراً عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه وردّوا عليه ماجاءهم به من عند الله من النصيحة: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ على علم ومعرفة وبيان من الله ﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ ورزقني التوفيق والنبوة والحكمة فآمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ بضم العين وتشديد الميم ، وذلك أن الإنسان هو

(١) جامع البيان ، ١٠٦/١٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٦٨١/٤ .

(٣) المحرر الوجيز ، ١٢٧/١٢ .

(٤) تفسير المراغي ،١٣٢/٧ .

(٥) مفاتيح الغيب ، ٢١٢/٢٤ . وروح المعاني ،٢٢٤/١٠ .

الذي يعمى عن إبصار الحق ، والحق لا يوصف بالعمى[1]، ومعنى ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: خفيت عليكم وبها تثاقلتم[2]. ولم يقل كفرتم ، بل قال (خفيت عليكم) وترك الأمر لاختيارهم ، ووجّه أنظارهم إلى أن الأمر ليس لفضل شخصي ولكن لهدى إلهي ولأن رسالات الله بينات وهداية[3]. ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أي: أنكرهكم على الاهتداء بها[4]؟!

﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ لا نقدر على إكراهكم على ما أمر الله ، ولا إلزامكم ما نفرتم عنه[5].

وقال-عز وجل- عن المشركين المكذبين للبعث: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾(القصص:٦٥-٦٦)

يسأل الله الكفار ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ ﴾ خفيت واشتبهت وأظلمت لهم الأمور ﴿ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ ﴾ الأخبار والأعذار والحجج فلم يجدوا خبراً يخبرون به مما لهم فيه نجاة فلا يجيبون ، بل يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً ، وقيل: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً من ذنوبه[6].

فقد خفيت عليهم الحجج حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون أو عموا عنها من شدة الهول ؛ لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة[7].

---

(١) جامع البيان ، ٣٨١/١٢-٣٨٢ .

(٢) تفسير السعدي ، ٣٦٣/٢ .

(٣) زهرة التفاسير ، ٣٧٠٠/٧ .

(٤) روح المعاني ، ٢٣٩/٦ .

(٥) تفسير السعدي ، ٣٦٣/٢ .

(٦) المحرر الوجيز ، ١٨٠/١٢ . وزاد المسير ، ٢٣٦/٦ . وتفسير البغوي ،٢١٨/٦ .

(٧) زاد المسير ، ٢٣٦/٦ . وفتح القدير ، ٢١٩/٤ .

استعير العمى لعدم الاهتداء ، فهم لا يهتدون للأنباء ، ثم قلب للمبالغة فجعل الأنباء لا تهتدي إليهم ، وضمن معنى الخفاء ، فعدّى بـ (على) . ففيه ثلاثة أنواع من البلاغة: الاستعارة[١] والقلب والتضمين[٢] [٣].

وهذه الكلمة (عميت) بالتشديد والتخفيف لم ترد إلا مرتين فقط في القرآن الكريم وجاءت بمعنى الخفاء والاشتباه .

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) من الصفات الملاصقة للمنافقين والمشركين والكفار هي الحيرة والتردد والتخبط في الضلال والتمادي في الكفر والشر[٤]. نسأل الله السلامة .

٢) وصف الله – تعالى – قوم نوح عليه السلام بأنهم عُمي القلوب عن معرفة الإله الواحد الحق فلذلك استمروا في تكذيب رسولهم عليه السلام، وهذا حال كل من كذب برسل الله وكتبه.

٣) الرفق في الدعوة وأدب الداعي وتلطفه بالمدعوين فلا يواجههم بالأسلوب العنيف بل يدعوهم بأسلوب لين رقيق لعله يجد صدى في قلوب المدعوين ، ثم الانصراف عنهم دون إجبارهم وإكراههم على الإيمان بالدعوة فما على الرسول إلا البلاغ .

٤) الكفر بالبعث والجزاء يجعل المرء كالبهيمة التي لا تعمل إلا لإشباع شهواتها دون تفكير في العاقبة والمصير والحساب يوم القيامة .

٥) تصوير مشاهد من يوم القيامة للعظة والاعتبار حتى لا يبقى حجة ولا عذر لأحد يوم القيامة .

---

(١) معنى الاستعارة : استعمال كلمة بدل أخرى لعلاقة المشابهة مع قرينة تدل على هذا الاستعمال .

(٢) التضمين حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة منه .

(٣) تفسير القاسمي ، ١١٩/١٣ .

(٤) ولذلك يكثر الانتحار في البلاد الملحدة والأشخاص البعيدين عن الله– تعالى– ولا يتقربون إليه بالعبادة والأعمال الصالحة لما يعاينونه من القلق والاكتئاب وانتشار الأمراض النفسية المدمرة والعياذ بالله .

المبحث الثاني
الطمس والغشاوة للأعين في القرآن الكريم

المطلب الأول : تعريف الطمس والغشاوة في اللغة

أولاً : تعريف الطمس .

الطاء والميم والسين : أصل يدل على محو الشيء ومسحه . يقال طمستُ الخطَّ، وطمست الأثر[١].

طمستُ الشيء طمساً طموساً : دَرَسَ[٢]، وطَمَسَ الشيء : تغيرت صورته ، غطاه ، محاه ، أزاله ، قلع أثره[٣].

والطمس : إزالة الأثر بالمحو[٤]، وطمست الريح آثار القوم إذا محتها[٥].

والطُّموس : الدروس والإنمحاء ، يقال : طمس الطريق طمساً ، وطُموسُ البصر : ذهاب نوره ، والمطموس : الأعمى[٦].

والطمس : استئصال أثر الشيء ، وطمس الله عليه يَطْمِس وطَمَسَه ، وطُمِسَ النجم والقمر والبصر : ذهب ضوءُه ، والمطموس : الأعمى الذي لا يبين حرف جَفن عينه فلا يُرى شُفر عينيه ، ويكون الطموس بمنزلة المسخ للشيء[٧]، ويقال : طمس الله بصره فهو مطموس البصر إذا ذهب أثر العين[٨].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ٤٢٤/٣ .

(٢) المصباح المنير ، ص٣٧٨ .

(٣) الرائد ، ص٥٨٠ .

(٤) جامع البيان في مفردات القرآن ، ٥٦٨/٢ . بصائر ذوي التمييز ٥١٥/٣ .

(٥) الغريبين في القرآن والحديث ، ١١٨٢/٤ .

(٦) الأفعال في القرن الكريم ، ٨٦٢/٢ .

(٧) لسان العرب ، ١٢/٦ ، مادة (طمس) .

(٨) الغريبين في القرآن والحديث ، ١١٨٢/٤ .

ثانياً : تعريف الغشاوة .

غشى : الغين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدل عل تغطية شيء بشيء ، يقال : غشّيت الشيء أُغشِّيه . والغشاء : الغطاء . والغاشية : القيامة ؛ لأنها تغشى الخلق بإفزاعها[١].

الغشاء : الغطاء ، تغشّى الشيء تَغْشِيه : إذا غطيته ، وعلى بصره وقلبه غِشوٌ وغَشْوةٌ وغُشْوة وغاشية أي غطاء ، وغشاء كل شيء ما تغشاه كغشاء القلب والسَّرج والرَّحل والسيف ونحوها[٢]. وغَشِيَه غِشَاوة وغشاء أي ستره . والغشاوه : ما يُغطى به الشيء وغشيت موضع كذا : أتيته ، وكني بذلك عن الجماع يقال غشاها وتغشاها[٣]. غشيه الموت يغشاه : أهلكه[٤].

المطلب الثاني : آيات طمس الأعين تفسيراً وهدايات

قال الله – تعالى – مخاطباً اليهود المجاورين للنبي ﷺ في المدينة : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ** ... ﴾ (النساء :٤٧).

يقول – تعالى – آمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزّل على عبده ورسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم، ومتهدداً لهم إن لم يفعلوا بقوله : ﴿ **مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ** ﴾ أي: من قبل أن نجعل أبصارهم من ورائهم، أو نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم فيمشون القهقرى ونجعل لأحدهم عينين من قفاه،وهذا أبلغ في العقوبة

(١) معجم مقاييس اللغة ، ٤/٤٢٥ .

(٢) لسان العرب ، ١٥/٢٦ (مادة غشا) .

(٣) جامع البيان في مفردات القرآن ، ٢/٦٦٠ .

(٤) الأفعال في القرآن الكريم ، ٢/٩٨٧ .

والنكال،وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبل الضلالة[١] .

قوله ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ فيها أقوال :

١) نجعل وجوههم كأقفائهم فيحول الوجه إلى القفا .

٢) نجعل وجوههم منابت للشعر كما كان وجه القرد[٢].

٣) الوجوه هنا تمثيل بأمر الدين أي نضلهم مجازاة لما هم عليه من المعاندة .

وقيل عُني بالوجوه:الأعيان والرؤساء ومعناه نجعل رؤساءهم أذناباً وذلك أعظم سبب البوار[٣].

ورجح الإمام الطبري: أن المراد نحوّل الوجوه أقفاء والأقفاء وجوهاً فيمشوا القهقرى؛ لأن الله – تعالى – حذّر اليهود بأسه وسطوته وتعجيل العقوبة لهم إن لم يؤمنوا بما أمرهم بالإيمان به[٤].

وطمس الوجوه إزالة معالمها المميزة لآدميتها ، وردها على أدبارها ، دَفعها لأن تمشي القهقرى[٥].

وهذا جزاء من جنس ما عملوا . فلما تركوا الحق وآثروا الباطل وقلبوا الحقائق فجعلوا الباطل حقاً ، والحق باطلاً جوزوا من جنس ذلك ، بطمس وجوههم كما طمسوا الحق وردها على أدبارها بأن تُجعل في أقفائهم وهذا أشنع ما يكون[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٢٩٣/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ص٥٩ . معاني القرآن ، للفراء ، ٢٠٩/١ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ، ٥١٥/٣ .

(٤) جامع البيان ، ١١٥/٧ .

(٥) في ظلال القرآن ، ٣٩٦/٢ .

(٦) تفسير السعدي ، ٣٥٦/١ .

قال الله – تعالى – عن الكفار :﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (يس : ٦٦).

لو يشاء الله لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يترددون ، لا يبصرون طريقاً ولا يهتدون له[١] والمراد لو شئنا لعاقبناهم على كفرهم وأذهبنا أحداقهم ، فلو أرادوا الاستباق وسلوك الطريق الذي اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا ذلك[٢].

وعبر بالمضارع في قوله ﴿ نَشَآءُ ﴾ ليتوقع في كل حين فيكون أبلغ في التهديد ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ فأذهبنا عينها وأثرها ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ الطريق الواضح الذي ألفوه واعتادوه ولهم به غاية المعرفة ، ولما كان الأعمى لا يمكنه في مثل هذه الحالة المشي بلا قائد فضلاً عن المسابقة قال ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ أي كيف ومن أين يهتدوا لمقاصدهم لعدم إبصارهم بل تصادموا فتساقطوا في المهالك وتهافتوا[٣].

ومن العلماء[٤] من يرى أنها يوم القيامة ، والمعنى أن هؤلاء الكفار ، حقت عليهم كلمة العذاب ولم يكن بُدٌ من عقابهم وفي ذلك الموطن ما ثمّ إلا النار قد برزت ، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان الذين يمشون في نورهم وأما الكفار فإن شاء الله طمس أعينهم ، وأبقى حركتهم ، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه والمقصود أنهم لا يعبرونه فلا تحصل لهم النجاة[٥].

قال الله – تعالى – عن قوم لوط عليه السلام لما راودوه عن ضيوفه: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (القمر : ٣٧) .

---

(١) جامع البيان ، ٤٧٥/١٩ . تفسير ابن كثير ، ٣٢٢/٥ .

(٢) تفسير المراغي ، ١٤٨/٨ .

(٣) نظم الدرر ، ٢٧٦/٦ . فتح الرحمن ، ٤٩٥/٤ .

(٤) روي ذلك عن عبد الله بن سلام ، ينظر الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٤٧/١٥ .

(٥) تفسير السعدي ، ٢٤٤/٤.

يقول – تعالى ذكره– : ولقد راود لوطاً قومُه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله إهلاكهم فطمسنا على أعينهم ومسحناها حتى صيرناها كسائر الوجه لا ترى لها شَقَّاً شُقّ ، فلم يبصروا ضيفه[1].

والمعنى : صيّرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق ، كما تطمس الريح الأعلام بما تسف عليها من التراب، وقيل : أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها، فلم يروا الرسل فرجعوا[2].

وهذا اللفظ ورد في القرآن الكريم خمس مرات فقط ثلاثة منها في الأعين[3] وهي المذكورة سابقاً وقد اختلف المفسرون في معناها هل المقصود بها الحقيقة أو المثل باستثناء الموضع الأخير في سورة القمر فقد اتفقوا أنها على الحقيقة .

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) عقوبة العالِم الذي لا يعمل بعلمه أشد وأعظم من عقوبة الجاهل .

٢) طمس الوجوه قد يراد بها جعل الأعين في القفا – نسأل الله السلامة والعافية – وقد يراد بها قلب الوجه كاملاً إلى الدبر والعياذ بالله ، وقد يراد بها جعل الرؤساء أذناباً وهو أشد النكال.

٣) إكرام الضيف من المكارم التي حثت عليها الكتب السماوية ؛ لذلك كان إهانة الضيف والاعتداء عليه موجب للعقوبة العاجلة بطمس الأعين ومسحها عن الوجه تماماً .

(١) جامع البيان ، ١٤٩/٢٢ . الكشاف ، ٤٠/٤ .

(٢) حدائق الروح والريحان ، ٢٢٧/٢٨ .

(٣) ومره في طمس الأموال الآية ٨٨ يونس ، ومره في علامات يوم القيامة طمس النجوم الآية ٨ المرسلات .

المطلب الثالث : آيات غشاوة البصر والنعاس والموت تفسيراً وهدايات

أولاً : غشاوة البصر :

قال الله – تعالى – عن الكفار : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (البقرة : ٧) .

استحوذ الشيطان على الكفار إذ أطاعوه ، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون[١].

والبصر : نور العين ، وهو ما تدرك به المرئيات . الغشاوة : الغطاء ؛ أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يبصرون سبيل الهداية[٢]، فهذا الغطاء يحول بينهم وبين النظر إلى الحق ، ولو نظرت لم تنتفع[٣]، وذكر الأبصار بالجمع بدل الإفراد لتعدد المبصرات الموجهة التي يتوجه البصر إليها ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات أوتاد ، وماء ينزل من السماء ، ومرسلات حاملات للرياح ، وخلق مجدد مستمر ، وحياة وموت ... وآيات بينات دالة على قوة القادر على كل شيء القاهر فوق عباده ، والتنكير في (غشاوة) فيه إشارة إلى أنه نوع من أنواع العقوبات خاص بهم أساسه التعالي على الحق وهذا ما أفسد طبائعهم وشوّه مداركهم[٤].

وقال– عز وجل– أيضاً عن الكفار : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (يس: ٩) .

يقول – تعالى ذكره– وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سداً – وهو الحاجز بين الشيئين – والمقصود أنه زُيّن لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون ولا يبصرون رَشَداً ولا

---

(١) تفسير ابن كثير ، ١٦٣/١ .

(٢) البحر المحيط ، ٧٦/١ – ٨٤ .

(٣) تفسير ابن عثيمين ، سورة البقرة ، ٣٧/١ .

(٤) زهرة التفاسير ، ١١٩/١ – ١٢٠ .

يتبينون حقاً ، ولا ينتفعون به[1]، فإن ما ذُكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً ، كافٍ في الكشف عن كمال فَظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات[2].

قال الضحاك: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾ أي: الدنيا ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾أي الآخرة أي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا[3].

وقال- جل شأنه- عن الكفار أيضاً : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

إن من تبع هواه ، في أودية الضلال يهيم على غير سنن ، فهو معرّض لكل بلاء، لايسمع الهادي فيقصده ، ولا يعي المعاني لينتفع بما تقدم له علمه ، ولا يبصر حق البصر ليهتدي ببصره ، فمن يهديه ؟ ومعلوم قطعاً أنه لا هادي له غير الله عزوجل ، فلا سبيل لمخلوق مثله إلى هدايته[4]، فقط انطمست فيه المنافذ التي يدخل منها النور ، والمدارك التي يتسرب منها الهدى ، وتعطلت فيه أدوات الإدراك بطاعة الهوى[5].

ثانياً : غشي النعاس .

قال الله – تعالى – في معرض الحديث عن غزوة بدر : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ... ﴾ (الأنفال : ١١) .

وقال- عز وجل- في معرض الحديث عن غزوة أحد: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ... ﴾(آل عمران : ١٥٤) .

---

(١) جامع البيان ، ١٩/٤٠٥-٤٠٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٤/٣٧٧ . وبنحوه في تفسير المراغي ، ٨/١٢٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٥/١٤ .

(٤) بتصرف شديد من نظم الدرر ، ٧/١٠٣ – ١٠٥ .

(٥) في ظلال القرآن ، ٧/٣٩٠ .

يذكِّر الله – تعالى – الصحابة بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم يوم بدر، أماناً من خوفهم وتخفيفاً عنهم ذلك الغم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، وكذلك فعل – تعالى – بهم يوم أحد . قال أبو طلحة : (غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أُحد قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه) [(١)]. وكأنّ ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله ، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونِعَمه عليهم[(٢)] فالنعاس في الحرب علامة النصرة والأمن ، فقد غمرت الثقة قلوبهم وأخذوا من الراحة قسطهم ، يأملون أن يروا بشائر ربهم بعيونهم صباحاً[(٣)].

والنعاس مقدمة النوم وهو دليل على طمأنينة القلب ؛ لأن الخائف لا يمكن أن ينعس ؛ لأن قلبه مضطرب لكن الآمن المطمئن ينعس[(٤)]. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم إلا إقامة دين الله ورضا الله ورسوله ومصلحة إخوانهم المسلمين[(٥)].

عن ابن مسعود– رضي الله عنه– قال : النعاس في القتال من الله ، وفي الصلاة من الشيطان[(٦)].

ثالثاً : غشي الموت

قال الله – تعالى – عن المنافقين يوم الأحزاب : ﴿ ....فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ .... ﴾ (الأحزاب : ١٩) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله (أمنة نعاساً) ، ٩٥/٩ ، ج(٤٥٦٢) .
(٢) بتصرف من تفسير ابن كثير ، ٢٧٨/٣ – ٢٧٩ . بدائع التفسير ، للإمام ابن قيم الجوزيه ، ٢٤٧/١ .
(٣) الرحيق المختوم ، للمباركفوري ، ص(١٩٢) .
(٤) تفسير العثيمين ، سورة آل عمران ، ٣٢٧/٢ .
(٥) تفسير السعدي ، ٢٨٢/١ .
(٦) أخرجه ابن كثير ، ١٢٩/٢ .

وقال- عز شأنه- عن المنافقين : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (محمد : ٢٠).

صفة المنافقين أنهم إذا حضر البأس وجاء القتال ، خافوا الهلاك والقتل ، خوفاً منه وفراراً من القتل ﴿ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به[١]، كأنه يعالج سكرات الموت حذراً وخوراً ولواذاً بك[٢].

فهؤلاء المنافقون وضعاف الدين إذا سمعوا آيات القتال والجهاد ينظرون إلى النبي ﷺ نظر المحتضر الذي لا يطرف بصره والمراد تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً ، وقيل : يفعلون ذلك من شدة العداوة له عليه الصلاة والسلام ، وقيل : خشية الفضيحة فإنهم إن تخلفوا عن القتال افتضحوا وبان نفاقهم[٣].

وفيه تصوير رائع لحالة الجبن والفزع والخوف في نفوسهم من لقاء الأعداء[٤].

والخلاصة: أن الله – تعالى – وصف الكفار الخُلص بأن على أبصارهم غشاوة فلا ينتفعون بالمحسوسات الدالة على وجود الله – تعالى – . ووصف المؤمنين الخُلص بأنه يغشيهم النعاس قبل القتال أو بعده رحمة بهم وفضلاً . أما المنافقون فإنهم إذا سمعوا عن القتال أو حضروه فإن أعينهم تشخص كأنما يعانون سكرات الموت أو أنهم قد أغمي عليهم من شدة الخوف والهلع.

وقد ورد هذا اللفظ ست مرات فقط فيما يتعلق بالبحث[٥].

---

(١) جامع البيان ، ٥٣/١٩ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ٣١٣/٤ .

(٣) روح المعاني ، ٢٢٢/١٣ .

(٤) التفسير المنير ، ٢٦ /١١٦ .

(٥) وقد وردت (٢٠) مرة فيما عداها في القرآن الكريم ، الأعراف (٤١) (٥٤) (٨٩) ، يونس (٢٧) هود (٥٠) يوسف (١٠٧) ، الرعد (٣) ، إبراهيم (٥٠) ، طه موضعين (٧٨) ، النور (٤٠) ، العنكبوت

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) بيان سنة الله – تعالى – في أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله – تعالى – الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا[١].

٢) إن الله – تعالى – هو الذي يجلب للمرء النوم أو يرفعه عنه ، والنعاس محمود في الحرب ونعمة ، وهو دلالة على طمأنينة القلب[٢]، وفيه دلالة على إكرام الله – تعالى – لأوليائه بالأمان الذي أنزله في قلوبهم[٣].

٣) المنافقون جبناء إلى درجة عالية بحيث إذا وقعوا في مصيبة كالحرب تراهم مضطربين كالميت الذي ينازع في السكرات تتحول عيناه يمنة ويسرة من هول ما يعانيه[٤].

---

(٥٥) ، لقمان (٣٢) ، الدخان (١١) ، الجاثية (٢٣) ، النجم (١٦-٥٤) ، نوح (٧) ، الشمس (٤) ، الليل (١) .

(١) أيسر التفاسير ، ١٧/١ .

(٢) بتصرف شديد من : تفسير العثيمين سورة آل عمران ، ٣٢٧/٢ -٣٣٥ -٣٣٦ .

(٣) أيسر التفاسير ، ٢٥٦/١ .

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ٩٢/٦ .

المبحث الثالث
ما ورد في القرآن الكريم من المعجزات في شأن العمى

المطلب الأول : معجزة عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه

أولاً : معنى الأكمة

الأكمه : هو الذي يولد مطموس العين ، وقد يقال : لمن تذهب عينه[١] .

كَمَهَ فهو أكمه ، والمرأة كمهاء ، وهو العمى يولد به الإنسان ، وربما كان من مرض[٢].

كَمَهٌ : عمّى خلقه ، كَمهَ بصرُه : إصابته ظلمه من مرض فأذهبته[٣].

الكَمَه : محركه : العمى يولد به الإنسان ، وقيل عام ، وكِمَه بصره : اعترته ظلمة تطمس عليه[٤]. وقيل: الذي يعمى بعد البصر[٥].

الأكمه : الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، وهو الأعمى الذي لا يُبصر فيتحير ويتردد، وكمِهت الشمس إذا علتها غبرة فأظلمت ، كما تظلم العين إذا علتها غبرة العمى ، وذكر أهل اللغة أن الكمه يكون خِلْقة ويكون حادثاً بعد بصر[٦].

ثانياً : معجزة عيسى عليه السلام .

قال الله – تعالى – على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ**

(١) مفردات ألفاظ القرآن ، للعلامة الراغب الأصفهاني ، ص٧٢٦ .

(٢) المصباح المنير ، ص٥٤١ .

(٣) الرائد ، ص٧٤٦ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ، ٣٨٨/٤ .

(٥) الهدية إلى بلوغ النهاية ، ١٩٢٦/٣ .

(٦) لسان العرب ، ٥٣٦/١٣ ، مادة (كمه) .

وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (آل عمران :٤٩) .

وقال الله- عز وجل-: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (المائدة :١١٠) .

اختلف المفسرون في معنى الأكمة[١] كما اختلف أهل اللغة في ذلك .

والذي رجحه الطبري وابن كثير: بأنه الذي وُلد وهو أعمى مضموم العينين أو ممسوح العينين أي فقد بصره وعيناه ؛ لأن علاج مثل ذلك لا يدَّعيه أحد من البشر إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى عليه السلام ، وهو أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي[٢].

والاحتجاج على بني إسرائيل في معنى النبوة لا يقوم إلا بالإبراء من العلل التي لا يبرئ منها طبيب بوجه[٣]. وهذا أصلٌ لما يقوله الأطباء إن الأكمه – الذي ولد أعمى- والأبرص لا يمكن برؤهما كإحياء الموتى[٤]؛ لأن إيجاد البصر في غير المبصر ، والمولود غير مبصر وغير قابل للإبصار بحكم الأسباب الطبيعية يُعد إنشاءً وإيجاداً وهو يشبه إيجاد الحياة في غير الحي[٥].

---

(١) راجع زاد المسير ، ٣٩٢/١ .

(٢) جامع البيان ، ٤٢٣/٥-٤٢٤ . تفسير ابن كثير ، ٤٠/٢ . فتح القدير ، ٤٤٢/١ . تفسير السعدي ، ٢٤٦/١ .

(٣) المحرر الوجيز ، ٩٥/٣-٩٦ .

(٤) الاكليل في استنباط التنزيل ، ص١٧٣ .

(٥) زهرة التفاسير ، ٢٣٩٨/٥ .

قال الشيخ ابن عثيمين إن كانت اللغة العربية تطلق الأكمه على كل ماقيل ، فلتكن الآية شاملة ، وإن لم تحتمل إلا معنى واحداً ، فأقربها أن الأكمه من وُلد بلا عين ؛ لأن هذا أبلغ في القدرة ، وكلما كان أبلغ في القدرة كان أعظم في الآية[1].

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) تأييد الله – تعالى – رسله بالمعجزات والبراهين والخوارق المستغربة التي لا يمكن لغير الأنبياء الاتيان بها ؛ لإثبات النبوة وإقامة الحجة على المعارضين[2].

٢) من آيات عيسى عليه السلام أنه يبرئ الأكمه ، لكن لا استقلالاً بل بإذن الله ، وإلا فلا أحد يشفي من المرض إلا بإذن الله[3].

٣) اختلاف اللغويين والمفسرين في معنى الأكمه ، وأرجحها ما اتفق عليه الشيخان الطبري وابن كثير رحمهما الله – تعالى – لأنه أبلغ في التحدي .

ولفظ (الأكمه) لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضعين ضمن الحديث عن معجزات عيسى عليه السلام .

المطلب الثاني : إبصار يعقوب عليه السلام بعد إلقاء القميص عليه

قال الله – تعالى – مبيناً حال يعقوب عليه السلام بعد أن فقد ولديه يوسف عليه السلام وبنيامين ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾** ﴾ (يوسف : ٨٤) وقول يوسف عليه السلام لإخوته بعد أن عرّفهم بنفسه ﴿ **ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾** ﴾ (يوسف : ٩٣).

وقوله ﴿ **فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾ (يوسف : ٩٦) .

---

(١) تفسير العثيمين ، سورة آل عمران ، ٢٨٣/١ .

(٢) تفسير السعدي ، ٢٤٦/١ .

(٣) تفسير العثيمين ، سورة آل عمران ، ٢٨٨/١ .

أعرض يعقوب عليه السلام عن أولاده وقال: يا حزناً على يوسف ، الأسف أشد الحزن والتندم[١]، فقد جدّد له حزن الابنين الحزن الدفين وهو حزنه القديم الأول على يوسف عليه السلام[٢] ﴿ **وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ** ﴾ أي: من ملازمة البكاء الذي هو ثمرة الحزن[٣]؛ فإن العَبْرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته إلى بياض كدر ، وقيل هو كناية عن العمى فقد ذهب بصره عليه السلام بالكلية[٤].

ولما بلغ يوسف عليه السلام حال أبيه من الحزن وذهاب نور العين أعطاهم قميصه وقال لهم ﴿ **فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا** ﴾ حكمه بعد الأمر إلقاء القميص على وجه أبيه بأن أباه يأتي بصيراً ويزول عماه دليل على أن هذا كله بوحي وإعلام من الله[٥]. ولما أُلقي القميص على وجه الأب ارتد بصيراً أي رجع وعاد مبصراً بعينيه بعد ما قد عَمِيَ[٦].

والارتداد : انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها ، والمعنى عاد ورجع إلى حالته الأولى من صحة بصره[٧].

إن شفاء يعقوب عليه السلام بإلقاء القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان ، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه ، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين ، ولكن المهم هو طريقة الشفاء وهي إرادة الله المنحصرة في (كن فيكون) وهي خارجة عن كل السنن الطبيعية التي أمر

(١) جامع البيان ، ٢٩٣/١٣ .
(٢) تفسير ابن كثير ، ٥٩٩/٣ .
(٣) المحرر الوجيز ، ٣٥٨/٩ .
(٤) روح المعاني ، ٣٩/٧ .
(٥) المحرر الوجيز ، ٣٧١/٩ .
(٦) جامع البيان ، ٣٤٦/١٣ .
(٧) فتح القدير ، ٦٣/٣ .

الإنسان أن يتعلمها ، فعظمة المعجزة ليست في النتيجة فحسب ولكن في طريق الشفاء ، وما أعظم إعجاز القرآن الذي وصف حالة مرضية خاصة وبيّن سببها ولم يكن يعلم العالم شيئاً عن هذا المرض في ذلك الوقت ولا بعده بزمن طويل[١].

الهدايات المستنبطة من الآيات :

١) تأثير الحالة النفسية والوجدانية في الصحة العامة من الحزن والسرور والضيق والسعة.

٢) شدة البكاء وطوله يؤدي إلى ابيضاض سواد العين وغشاوتها أو فقد نور العينين (العمى) .

٣) كل داء يداوى بضده ، فقميص فيه أثر ريح يوسف عليه السلام يشمه الأب الحزين الذي به من الشوق إلى ابنه ما الله به عليم ، فترجع إليه روحه وتتراجع إليه نفسه ويرجع إليه بصره ، لله في ذلك حكم وأسرار لا يطلع عليها العباد[٢].

٤) ارتداد بصر يعقوب عليه السلام بعد العمى بمجرد أن ألقي القميص على وجهه آية عظيمة[٣].

٥) الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً ، والله – تعالى – يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء والعسر واليسر ، ليمتحن صبرهم وشكرهم ويزداد – بذلك – إيمانهم ويقينهم وعرفانهم[٤].

---

(١) تفسير المراغي ، ٣١/٥ .

(٢) تفسير السعدي ، ٤٣٥/٢.

(٣) أيسر التفاسير ، ٨٩/٢ .

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ٥٥١/٣ .

الخاتمة

الحمد الله في الختام ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيام، وبعد:

فقد توصلت من خلال البحث في هذا الموضوع إلى عدة نتائج من أبرزها:

١) يتفق لفظ العمى والعمه في الستر والتغطية والالتباس والاختلاط والاشتباه ؛ إما للبصر وإما للبصيرة .

٢) ورد لفظ أعمى وعمي في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرة ، ثلاثاً منها فقط يتعلق بعمى البصر مما يدل على أن الاهتمام الأكبر والتركيز الأعظم يكون على البصيرة القلبية .

٣) اهتمام الله عزوجل بالمؤمنين منذ بداية الدعوة ؛ مما يدل على الميزان الذي يرجح عند الله – تعالى – .

٤) عتاب الله – تعالى – لنبيه وصفيه وحبيبه ﷺ لعبوسه في وجه أعمى لا يرى هذا العبس ، يدل على أن الإنسان عليه أن يعامل الآخرين باحترام وحب كما يحب أن يُعامَل منهم .

٥) رفع الإثم عن أهل الأعذار في بعض الواجبات الشرعية كالجهاد ، مع ضمان الأجر الكامل لهم ، مما يدل على تكريم الإسلام لهم مراعاة لعذرهم .

٦) المجتمع المسلم يكفل لجميع فئاته الحياة الكريمة تربية وتعليماً وسداً لاحتياجاتهم وتطويراً لقدراتهم وتنمية لمواهبهم وتلبية لطموحهم .

٧) ضرب الله – تعالى – المثل للمنافقين والكافرين بأنهم (صم بكم عمي) لتعطيلهم الحواس التي تُعرِّفهم على خالقهم ومعبودهم الحق .

٨) على المسلم المحافظة على حياة قلبه بالبعد عن المدمرات من الكذب والترهات والخرافات والكبر والعجب .... الخ

٩) في الدنيا يعيش المؤمن عيشة هانئة مطمئنة وإن كان معدوماً ، وعكسه الكافر في قلق وهم وشقاء وإن كان في قصور وأنهار .

١٠) الحيرة والتردد والتخبط والضلال والتمادي في الشر ، هي صفات ملاصقة للمنافقين والمشركين والكفار .

١١) طمس الأعين والوجوه من العقوبات التي تنال المكابرين المعاندين وقد تكون حقيقة، أو تمثيلاً ، وقد تكون في الدنيا أو في الآخرة .

١٢) رحمة الله – تعالى – بأوليائه وإكرامه إياهم بإنزال النعاس عليهم في الحرب ، أما الكفار فقد سُدت منافذ المعرفة منهم حيث أُلقيت الغشاوة على أبصارهم فلا يهتدوا إلى الحق . وأما المنافقون فمضطربون في الشدائد كأنهم يعانون سكرات الموت.

١٣) تأييد الله – تعالى – رسله بالمعجزات الباهرة حسب عصورهم وما برع فيه أهل زمانهم ، لاثبات الرسالة والنبوة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، للعلامة أبي السعود ، الطبعة بدون ، ت بدون ، دار الفكر ، بيروت .

٢. **الأساس في التفسير** ، سعيد حوى ، الطبعة السابعة ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، دار السلام ، القاهرة .

٣. **الأفعال في القرآن الكريم** ، د/ عبد الحميد مصطفى السيد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦- ١٩٨٦ ، دار البيان العربي ، جدة .

٤. **الإكليل في استنباط التنزيل** ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، راجعه وأشرف على تحقيقه أبو عبد الله مصطفى بن العدوي ، تحقيق عادل شوشة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، مكتبة فياض ، المنصورة .

٥. **انشراح الصدور في تدبر سورة النور** ، أ.د. سليمان إبراهيم اللاحم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦-٢٠٠٥ ، دار العاصمة ، الرياض .

٦. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، أبو بكر جابر الجزائري ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٢، المكتبة الوقفية ، القاهرة .

٧. **البحر المحيط في التفسير** ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل ، الطبعة ١٤٣١-٢٠١٠ ، دار الفكر، بيروت .

٨. **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية** ، جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ، راجعه ونسّق مادته ورتبها صالح أحمد الشامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٣١، دار ابن الجوزي ، الدمام .

٩. **البرهان في علوم القرآن** ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، الشيخ جمال حمدي الذهبي ،

الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠-١٩٩٠ ، دار المعرفة ، بيروت .

١٠. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق محمد على النجار ، الطبعة بدون ، ت بدون ، المكتبة العلمية ، بيروت.

١١. **تفسير البغوي** (**معالم التنزيل**) للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعه ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، الطبعة ١٤١١ ، دار طيبة ، الرياض .

١٢. **تفسير التحرير والتنوير** ، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الطبعة بدون ، ت بدون ، الدار التونسية للنشر .

١٣. **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن** ، للشيخ العلامة محمد الأمين عبدالله العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة د/هاشم محمد علي مهدي / الطبعة بدون ، دار طوق النجاة ، بيروت .

١٤. **تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية** ، جمعه وحققه وعلق عليه إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي ، راجعه عثمان بن مُعلِّم محمود ، أشرف على طبعه سعد بن فواز الصَّميل ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .

١٥. **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل** ، محمد جمال الدين القاسمي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨-١٩٧٨ ، دار الفكر ، بيروت .

١٦. **تفسير القرآن العظيم** ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١م دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٧. **تفسير القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة)** ، لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
١٨. **تفسير القرآن الكريم (آل عمران)** لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
١٩. **التفسير الكبير** ، للإمام الفخر الرازي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران .
٢٠. **تفسير المراغي** ، لصاحب الفضيلة أحمد مصطفى المراغي ، خرج آياته وأحاديثه باسل عيون السد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨-١٩٩٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢١. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، الطبعة الأولى ، ١٤١١-١٩٩١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت .
٢٢. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٤-٢٠١٣، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
٢٣. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم محمد زهري النجار ، الطبعة ١٤٠٨-١٩٨٨ ، مطبعة المدني بجدة .
٢٤. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ ، دار عالم الكتب، الرياض .
٢٥. **جامع البيان في مفردات القرآن** ، جمع وتحقيق أ.د. عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨-٢٠٠٧ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٢٦. **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي** ، لأبي عيسى محمد بن عيسى ، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، الطبعة بدون ، ت بدون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٧. **الجامع لأحكام القرآن** (**تفسير القرطبي**) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١-٢٠٠٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٨. **الجُمان في تشبيهات القرآن** ، لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغدادي ، حققه وشرحه، د. محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ ، دار الفكر ، دمشق .

٢٩. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ، للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، د. جاد مخلوف جاد ، د. زكريا عبد المجيد التوتي ، الطبعة الأولى، ١٤١٤-١٩٩٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٠. **الدر المنثور في التفسير المأثور** ، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣-١٩٨٣ ، دار الفكر ، بيروت .

٣١. **الرائد** ، جبران مسعود ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٣٢. **الرحيق المختوم** ، صفي الرحمن المباركفوري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩-١٩٩٨، دار الفكر ، بيروت .

٣٣. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصححه علي عبد

الباري عطية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣٤. **زاد المسير في علم التفسير** ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، الطبعة بدون ، ت بدون ، المكتب الإسلامي .

٣٥. **زهرة التفاسير** ، للإمام الجليل محمد أبو زهرة ، الطبعة بدون ، ت بدون ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٣٦. **سورة النمل دراسة وتحليل** ، د. عبد الله بن أسود خلف الجوالي ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠- ٢٠٠٩ ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة .

٣٧. **الشرح الميسر لصحيح البخاري** ، للشيخ محمد علي الصابوني ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢-٢٠١١ ، المكتبة العصرية ، لبنان .

٣٨. **الصحيح المسند من أسباب النزول** ، فضيلة العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥- ١٩٩٤ ، مكتبة دار القدس ، صنعاء .

٣٩. **الغريبين في القرآن والحديث** ، تصنيف العلامة أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي ، قدم له وراجعه أ.د. فتحي حجازي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩-١٩٩٩ ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة.

٤٠. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة ١٤١٤-١٩٩٣، دار الفكر ، بيروت .

٤١. **فتح الباري** ، شرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن باز ، الطبعة ١٤١٤هـ -١٩٩٣م ، دار الفكر ، بيروت .

٤٢. **فتح البيان في مقاصد القرآن** ، للإمام العلامة أبي الطيب صدّيق بن حسن القنوجي البخاري ، عني بطبعه وقدّم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، الطبعة الأولى، ١٤١٠-١٩٨٩ ، إحياء التراث الإسلامي ، قطر .

٤٣. **فتح الرحمن في تفسير القرآن** ، للإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً نور الدين طالب ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠-٢٠٠٩ ، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

٤٤. **فتح القدير** ، للإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، مراجعة د. محمد الاسكندراني ، أحمد إبراهيم زهوة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠-١٩٩٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٤٥. **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٦-١٩٦٧ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٦. **قواعد التفسير جمعاً ودراسة** ، خالد بن عثمان السبت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٩ -٢٠٠٨ ، دار ابن عفان ، القاهرة .

٤٧. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي ، الطبعة ١٣٩٩-١٩٧٩ ، دار الفكر ، البيان .

٤٨. **لسان العرب** ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي المصري ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤-١٩٩٤ ، دار صادر ، بيروت .

٤٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ط ١٣٩٥-١٩٧٥ ، المكتبة التجارية ، مصطفى الباز ، مكة المكرمة .

٥٠. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، للرافعي ، أحمد بن محمد المقري الفيومي ، الطبعة بدون ، ت بدون ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٥١. **معاني القرآن** ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، حققه وخرج أحاديثه الشيخ الدكتور عماد الدين بن سيد آل درويش ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢-٢٠١١ ، عالم الكتب ، بيروت .
٥٢. **معاني القرآن الكريم** ، للإمام أبي جعفر النحاس ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠-١٩٨٩ ، جامعة أم القرى .
٥٣. **معاني القرآن وإعرابه** ، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري ، شرح وتحقيق دكتور عبد الجليل عبده شلبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨-١٩٨٨ ، عالم الكتب، بيروت .
٥٤. **معجم مقاييس اللغة** ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، الطبعة ١٤٢٠-١٩٩٩ ، دار عالم الكتب .
٥٥. **مفردات ألفاظ القرآن** ، للعلامة الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ ، دار القلم ، دمشق .
٥٦. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٥٧. **الهداية إلى بلوغ النهاية** ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، مجموعة رسائل جامعية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩-٢٠٠٨ ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة.
٥٨. **شبكة الألوكة** ، أحكام الأعمى في الفقه الإسلامي ، محمد عمر صغير شماع .